الجرذ والسنور



الجرذ والسنّور

يُحكى أَنَّهُ في... مكانٍ ما كَانَتْ هناكَ شَجَرَةٌ عظيمةٌ، هائلةُ الضَّخَامَةِ، وأنه تحتَ هذه الشجرةِ كَانَ يُوجَدُ جُحْرُ سِنور يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ (رومي)، وأنه قريباً منه كَانَ يُوجَدُ جُحْرُ جُرَذٍ يُطْلَقُ عَلَيْه اسْمُ (فريدون). وكانت بين رومي وفريدون عَدَاوةٌ شَدِيدَةٌ، مُنْذُ زَمَنٍ، فلم يَكُنْ أحدُهما يُحبُّ الآخَرَ، بَلْ كَانَ يَأْمُلُ الخلاصَ مِنْهُ وكَانَ هذا المكانُ مَليئاً بالطُّيورِ والحيوانات، فكَانَ الصَّيَّادُونَ يَرْتَادُونَه كَثيراً للصَّيْدِ.



وذات يوم، قَدِمَ إلى هذا المكانِ صَيَّادٌ مَاهِرٌ فَنَصَبَ شَبَكَتَهُ بالقرب من جُحْر رومي، ثُمَّ ذَهَبَ لِقَضَاءِ بعضِ حَاجَاتِهِ حتى يقعَ فِي الشَّبَكَةِ صَيْدٌ. وسُرْعَانَ مَا خَرجَ رومي مِنْ جُحْرِهِ فوقعَ في الشَّبَكَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِع أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.



وَبَعْدَ قَليل خَرَجَ فريدون مِنْ جُحْرِه، بَاحِثاً عَنْ شيءٍ يَأْكُلُهُ، وهَوَ حَذِرٌ كُلّ الحَذَرِ مِنْ عَدُوِّه رومي.

وَفَجْأَةً رأى الجرذُ غَرِيمَهُ السنور داخل الشبكةِ، فاستبشر بذلك خيراً وقال في نفسه:

قدْ خَلَّصَنِي اللّهُ مِنْ عَدُوِّي اللدودِ إلى الأبدِ، وسرْعانَ ما يأتي الصيادُ فيأخذُه، ويسلخُ جِلْدَه.







وبينما الجرذُ فريدون شاردٌ في خَوَاطِره السَّعِيدَة هَذِهِ، رأى بُومَةً واقفةً عَلَى غُصْنِ الشجرة فخاف منها، والتفت خَلْفَهُ لِيَهْرُبَ فَرَأَى ابن عرس متربصاً بِهِ وَمُسْتَعداً لاختطافِهِ،

فخاف الجرذ وقال في نفسه:

إذا رَجَعْتُ وَرَائي اختطفني ابن عرس،

وإن تقدمتُ أمامي افترسني السّنور،

وإن ذهبتُ يميناً أو شِمَالاً اختطفتني البومةُ.





وَبَعْدَ تفكيرٍ سَريعٍ، قال الجَرذُ في نفسِهِ:

لستُ أرى لي مَخْرجاً من هذا البلاء إلا مصالحةَ السِّنّورِ، والاتفاقَ مَعَهُ، حتى وإن كانَ ألدَّ أَعْدَائِي؛ لأنّه قد نزل به منَ البلاءِ مثلُ مَا قَدْ نَزَلَ بي. المهمُّ أن يُنْصِتَ إلى كلامي، ويثقَ بأن في نجاتي نَجَاتَهُ، فيوافقَ على معاونتي إيَّاهُ.

وتقدمَ الجرذ من السنور، فقال له:

كيف حالكَ أيها الغريمُ القديمُ؟

فقالَ السنورُ: في ضَنْك وضيق،

وأظنُّ أنَّ ذلك يَسرُّكَ. فقالَ الجرذُ في لهجةٍ صادقة:

كيف أُسرُّ بذلك، وأنا الآن شريكك في البلاء؟ لقد جئتُ إليكَ أعرضُ عليك أن نتركَ الْعَداوةَ قليلاً حتى ينجوَ كلانا من هذه المحنة... وَثِقْ بأَنَّني صادقٌ في كلامي، من الأفضل أن ننجوَ معاً بدل أن نهْلكَ معاً.



فقال السنوّر:

ما الذي يُدريني أنك صادق في كلامك، وأنها ليست خُدعَةً من خِدَعِك؟

فَقَال الجرذ بلهجة صادقة:

إن ابن عرس كَامنٌ لي من الخلف، والبومةَ متربّصةٌ لي مِنْ فَوْق الشجرة،

فإن أعطيتني الأمانَ قَرَضْتُ حِبَالَ الشبكةِ وَخَلَّصْتُك مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ.

فَلَمَّا رأى السنور ابن عرس كامناً من خَلف الجرذ، والبومة مُتربصةً

له فوق الشجرة، أدرك صِدقَ كَلامِه، ورَغْبَتَهُ الْجادَّةَ في مُسَاعَدَتِهِ.



فَقَالَ لَه:

لقد تحقَّقتُ مِنْ صِدْقِ كَلامكَ، أنا أيْضاً رَاغبٌ في الخلاصِ من هذه الشبكةِ اللعينةِ، فَلننبذْ عداوتنا جانباً، ولنتعاهدْ على أن يساعدَ كُلٌّ مِنّا الآخرَ بصدقٍ وإخلاصٍ، حتى نَنْجُوَ من هذه المحنةِ.

فقال الجرذ:

اتفقنا ... سأدنو منك الآن طالما أنك قد أعطيتني الأمان، وأقرضُ حِبَالَ الشبكةِ كلّها إلاّ حبلاً واحداً أبقيه، ولن أقرِضَهُ إلاّ في اللحظةِ المناسبةِ التى أخْتَارُهاَ أنا.

فتعجب السنور وقال:

وَلِمَ تترك هذا الحبل دون قرض، وتبقيني أسيراً بسببه؟

فقال الجرذ:

هذا الحبلُ سوف أستبقيه، حتى أستوثق لنفسي منك.

وبدأ الجرذ يعمل بهمّةٍ ونشاطٍ على قرض حبال الشبكة. فلما رأى ابن عرس والبومةُ أن الجرذَ بدأ بقرض حبال الشبكة، ابتعد كُلٌّ منهما؛ بحثاً عن صيدٍ آخر.



ثم أضافَ السنورُ قائلاً:

إذا كنت قد نويتَ الغدْر بي، فإنني أذكِّرُك بأنّ عاقبةَ الغدر وخيمةٌ، وأَنَّ الكريم لا يكون إلاَّ شَكوراً غير حَقود.

فتكلم الجرذ وقال:

اطمئنّ فأنا مُوفٍ لك بما قَطَعْتُهُ عَلَى نَفْسِي من تخليصك من هذه الشبكةِ، لكنني أيضاً محترسٌ منك خَشْيةَ أن يصيبَني ما ألجأني إلى مصالحتك وألجأك أنت إلى قبولِ الصلحِ منّي. سَوْفَ أَمضِي في عَمَلي، فأقطع الحبالَ كُلَّها، إلا عقدةً واحدة سوف أتركك مربوطاً بها، ولا أقطعُها إلاَّ في اللحظة التي أراك فيها مشغولاً، حتى لا تقفزَ عليَّ وتأخذني.





فقال له السنور:

أسرعْ وإلاَّ أخذَني الصياد.

فقال له الجرذُ: اطمئن ... لم تَبْقَ إلاَّ آخر عُقْدة.

وفي اللحظةِ التي وصل فيها الصيادُ،

قرض الجرذُ العقدةَ الأخيرةَ، فقفز السنور

فوق الشجرةِ، واختبأ الجرذ في جُحْرِه،

والصيادُ ينظرُ بدهشةٍ

إلى شبكته الممزَّقَةِ ... ثم حملها ورحل.



وبعدَ قليلٍ خَرَجَ الجرذُ مِنْ وكره، وخَافَ أَنْ يَقْتَرِبَ من السنور، فناداه السنور قائلاً: أيها الصديقُ المخلصُ النَّاصِحُ، لماذا لا تقتربُ مِنِّي، حتى أجازيَك خيراً على ما قدّمتَ لي من معروف؟

وقال له الجرذُ: أنا الآن أُحبُّ لك من البقاء والسلامةِ ما لم أَكُنْ أُحبّه لك من قبل. فقال السنورُ: وأنا أرجو لك ذلك.

وهكذا عاد كُلٌّ من الجرذ والسنور إلى حياتهما القديمة، بَعْدَما جَمَعَتْ بينهما الصداقةُ في لحظات الخَطَرِ.

